جدلية المثاقفة اللاهوتية في بناء الحوار المسيحي اليهودي

أ.د. عبد القادر بخوش*

تاريخ وصول البحث: 2020/6/29م **تاريخ قبول البحث: 2020/11/8م**

ملخص

تبرز أهمية البحث في معرفة خصوصية العلاقة بين اليهودية والمسيحية الغربية، والتي شهدت تطورا ونموا وتعاونا، تجسد في المثاقفة اللاهوتية. وتحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية: كيف نجح الحوار المسيحي اليهودي في إحداث تغيير جذري في طبيعة العلاقات المسيحية اليهودية، من علاقات عدائية متأصلة إلى علاقات حميمة متميزة؟ وكيف تشكلت المثاقفة اللاهوتية؟ وما أثرها في تعزيز الحوار اليهودي والمسيحي؟

اتخذت الدراسة من المنهج التحليلي النقدي وسيلة للكشف عن الأصول اللاهوتية وتطورها في قوالب جديدة، واستعانت الدراسة بالمنهج المقارن بين المبادئ اللاهوتية للكشف عن التأثير والتأثر بينها.

وخلصت الدراسة إلى أن الحوار المسيحي اليهودي، هو مشروع عمل ينطلق من رؤية استراتيجية مشتركة، نتج عنه هذا التعاطف لتيار غربي جارف، مع اليهودية الصهيونية والتنسيق التام معها، إنه مدين كله إلى ذلك التوافق الديني الذي حققته المثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية.

الكلمات المفتاحية: المثاقفة اللاهوتية– الحوار المسيحي اليهودي–بناء الحوار.

Theological dialectic of acculturation in building the Christian-Jewish dialogue

Abstract

The importance of this research lies in knowing the specificity of the relationship between Judaism and Western Christianity, which has witnessed development, growth and cooperation, that is embodied in the theological acculturation. This study attempts to answer the following questions:

How did the Christian-Jewish dialogue succeed in changing the nature of Christian-Jewish relations, from inherently hostile relationships to privileged intimate relationships? And how did the theological acculturation be formed? And what is its effect on promoting Christian-Jewish dialogue?

The study used the critical analytical approach as a means of revealing theological origins and their evolution into new templates, and used the comparative approach between theological principles to reveal the two-way influence between them.

The study concluded that the Christian-Jewish dialogue is a working project based on a common strategic vision, and resulted in this sympathy for an overwhelming western stream with Zionist Judaism and full coordination with it, that it all owes to the religious

* أستاذ، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة قطر.
bekhouche@qu.edu.qa

consensus_achieved by the Jewish and Christian theological acculturation.
Keywords: the Christian-Jewish dialogue- Theological of acculturation building the dialogue.

المقدمة.

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والمرسلين سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن العلاقة بين اليهودية والمسيحية نشأت بنشوء المسيحة، وتشكلت استجابة لظروف تاريخية طارئة، اتسمت في بدايتها بالكثير من التوتر والاضطراب، وظلت العلاقة معقدة ومتشعبة ردحاً من الزمن، ثم عادت هذه العلاقة كي تنتعش مع ظهور البروتستانتية في القرن السادس عشر الميلادي، وما انفكت تشهدُ العلاقةُ تطورا مطردا، حتى بدأت العلاقة في تحسن مع الكاثوليكية في العصر الحاضر؛ لتثمر خصوصية العلاقة، تطورا ونموا وتعاونا مستمرا بين اليهودية والمسيحية الغربية، تَجسد في التوافق الديني بفضل المثاقفة اللاهوتية بين اليهودية والمسيحية الغربية.

أهمية البحث.

ويأتي هذا البحث؛ لتقصي المثاقفة اللاهوتية بين الديانتين؛ المسيحية واليهودية، والتي تعني الانخراط في الرؤية الاستراتيجية لعمل موحد بين أتباع منظومتين دينيتين؛ منبثقا من تفاعل لاهوتي بين ديانتين وعلاقة تفاعلية متبادلة بين منظومتين دينيتين مختلفتين، تتميز بتبادل الرؤى اللاهوتية وتلاقح الأنساق الدينية فيما بينها، وبهذا؛ فالمثاقفة اللاهوتية تتعدى مجرد التوافق الديني والحوار اللاهوتي بين منظومتين دينتين إلى تجسيد وترجمة هذا التوافق اللاهوتي والديني إلى واقع ملموس.

إشكالية البحث.

انطلاقا مما تقدم، سوف تحاول هذه الدراسة الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- كيف تشكلت المثاقفة اللاهوتية عبر المحطات التاريخية الكبرى؟
- وما أثرها في تعزيز الحوار المسيحي الغربي اليهودي والدفع به قدما؟
- وكيف نجح الحوار المسيحي الغربي واليهودي الصهيوني في إحداث تغيير جذري في طبيعة العلاقات المسيحية اليهودية، من علاقات عدائية متأصلة إلى علاقات حميمة متميزة؟

أهداف البحث.

- توظيف المثاقفة اللاهوتية في تجسير أواصر الالتقاء والتعايش بين اليهود والمسيحيين الغربيين.
- بيان نجاح الحوار المسيحي الغربي واليهودي الصهيوني في توطيد العلاقات المسيحية اليهودية.
- دور مؤتمرات الحوار المسيحي اليهودي في توثيق العلاقات المسيحية اليهودية وبناء رؤية استراتيجية مشتركة.
- الوقوف على التطور اللاهوتي الذي حدث في كل من المسيحية واليهودية.

المناهج المتبعة في البحث.

أولاً: المنهج الوصفي التحليلي النقدي.

اتخذت الدراسة من المنهج الوصفي والتحليل النقدي، وسيلة للكشف عن الأصول اللاهوتية، من حيث النشأة والعوامل التي ساعدت على تطوير هذه الأصول، فشكلت دراسة وصفية للأسس اللاهوتية التي تحكم المسيحية واليهودية، إلى جانب الدراسة التحليلية والنقدية لهذه الأسس، وبيان العوامل الداخلية والخارجية التي أسهمت في تشكيل عقائد متجانسة بين الديانتين، تحقق أهدافا واحدة.

ثانياً: المنهج المقارن.

واستعانت الدراسةُ بالمنهج المقارن؛ للكشف عن أوجه الاختلاف والاتفاق اللاهوتي بين الديانتين، وتتبع التأثير والتأثر الحاصل بين الأسس اللاهوتية للديانتين؛ وقد ساعد هذا المنهج في معرفة الظروف التاريخية والأبعاد الدينية التي شكلت مثاقفة لاهوتية بين الديانتين كان لها دور في تعزيز الحوار المسيحي اليهودي المعاصر.

حدود الدراسة.

وتنبغي الإشارة هنا، إلى أن الدراسة تقتصر على المسيحية الغربية؛ والمقصود من المسيحية الغربية Western Christianity، هي تراث وعقائد الكنيسة الرومانية الكاثوليكية والفرق التي انبثقت تاريخياً منها مثل الأنكليكانية (وهناك من يعتبرها جزءًا من البروتستانتية) والبروتستانتية Protestantism، وبالمقابل نجد المسيحية الشرقية Eastern Christianity. والمسيحية الغربية هي التراث الديني لغالبية المسيحيين في جميع أنحاء العالم، ولا يخفى دورها الفعال في توطيد العلاقة المسيحية اليهودية[1]، وتتخذ من المحطات التاريخية الكبرى –المثاقفة اللاهوتية المبكرة، المثاقفة اللاهوتية المسيحية البروتستانتية واليهودية، المثاقفة اللاهوتية الكاثوليكية– التي حدثت فيها مقاربة لاهوتية فاعلة، كان لها تأثيرُها الإيجابي على طبيعة العلاقة المسيحية الغربية اليهودية.

وتظهر أهميةُ الدراسة، في أنها تنحو نحو سبر أغوار التاريخ اللاهوتي، العميق الجذور، والممتد إلى نشأة المسيحية في بيئة يهودية، ليتتبع التطور اللاهوتي الحاصل في الديانتين، والحفر في مقولاته والنبش في نصوصه؛ لمعرفة مدى توظيف المثاقفة اللاهوتية، في تجسير أواصر الالتقاء والتعايش بين اليهود والمسيحيين الغربيين.

الدراسات السابقة.

وليس من شك أن هذه الدراسة استفادت من بعض الدراسات السابقة في موضوع اللقاءات اليهودية والمسيحية، وتأثير اللقاء الديني اليهودي المسيحي في السياسة الغربية، ومن أهم هذه الدراسات التي لها فضل السبق ما كتبه يوسف حسين بعنوان البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني، وكذلك كتاب شارل جنيبر في بيان تأثير بولس في الديانة المسيحية وتطويعها لخدمة أغراض يهودية.

خطة البحث.

المبحث الأول: المثاقفة اللاهوتية المبكرة.

المطلب الأول: موقف اليهود من تعاليم المسيح.

المطلب الثاني: بولس وإرساء الأسس اللاهوتية المسيحية.

المبحث الثاني: المثاقفة اللاهوتية البروتستانتية اليهودية.

المطلب الأول: مصالحة المسيحيين وامتصاص غضبهم.

المطلب الثاني: اليهودية واستيعاب المسيحية الغربية.

المبحث الثالث: الحوار المسيحي الكاثوليكي اليهودي.

المطلب الأول: القرارات اللاهوتية للمجمع الفاتيكاني الثاني.

المطلب الثاني: المثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية الكاثوليكية في مجمع الفاتيكان الثاني.

المطلب الثالث: الآثار اللاهوتية المترتبة من إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني.

الخاتمة وأهم النتائج.

المبحث الأول:
المثاقفة اللاهوتية المبكرة.

بدأ التواصل المسيحي اليهودي باكرا، لقد ولدت المسيحية وصاغت تعاليمها الأولية في بيئة يهودية صرفة؛ فالمسيح الذي قامت عليه العقائد المسيحية، كان يهوديا، عاش في بيئة يهودية لشأن يهودي، وللباحث أن يطرح جملة من الأسئلة، كيف استقبله اليهود؟ وكيف كان موقفهم منه؟ ومن رسالته؟

المطلب الأول: موقف اليهود من تعاليم المسيح.

عاش اليهود في عصر المسيح في أتعس حال، فقد غمرت حياتهم السياسية الفتنُ الداخلية، ودبّ الخلاف بين فرقهم الدينية، وإلى جانب هذه الظروف الداخلية القلقة، هناك ظروف خارجية كانت تبعث على قلق أكبر، لما عاناه اليهود من قساوة، ومحن تحت نير الاستعمار الروماني[2].

أمام هذا الوضع المضطرب على جميع الأصعدة، ظلّ يراود اليهودَ حلمٌ طالما دغدغ مشاعرهم، وهو فكرة الخلاص عن طريق مخلص منتظر، يكون من نسل داود ﷺ، يجمع شتاتهم، ويخلصهم من نير الذل والاستعباد. ويحقق لهم المملكة الموعودة. وهذا الملخص، هو المسيح ﷺ الذي ذكره كتابهم المقدس.

طفق اليهود يستعدون لقدوم المسيح المخلص، خاصة بعد أن بشّرهم به يوحنا المعمداني، وحثهم على استقباله بالتوبة إلى الله[3]. وقد أقام اليهود هذه العقيدة –المسيح المخلص– على تصورات ذهنية، اتسع لها التأويل، والتخريج للكتاب المقدس، فبالغوا في ذلك حتى ادعوا بأن هناك بشارات وعلامات، تلازم مجيء المسيح المخلص، وبدونها لا يحق لأحد أن يدعي لنفسه زورا، صفة المسيح مخلص إسرائيل.

وحتى يثبت المجيء، لا بد أن يوفق المسيح في لمّ شمل اليهود، وجمع شتاتهم، وأن يستتب الأمر لليهود على كل

الأرض، المتعاقد عليها مع يهوه، أي أرض الميعاد، وينجح في تطهير أورشليم من كل أجنبي، ويتمكن من إقامة الهيكل بها، وبذلك يصير الشعب المختار القوة العالمية المهيمنة التي تتحكم في رقاب البشر[4] لكن مجيء المسيح ﷺ أسقط كل التوقعات، وخيّب جميع ظنون الكهنة.

حرص المسيح في دعوته على تحرير الاختيار الإلهي، من الجنس والعنصر، وبيّن بأن الاختيار، لا يقتصر على شعب معيّن، أو عنصر ما، فالذي يؤمن بتعاليم المسيح، ويسلك طريقه، يصبح مختارا من الله، وبالتالي لا مكان للأسطورة التي تربط بين الله وشعبه المختار، إذ أصبح العهد الجديد يُبنى على علاقة شخصية بين الله والإنسان، ويكون المسيح هو وسيط هذا العهد، فيولد الإنسان من جديد[5].

ولبث المسيحُ يجاهر بهذه التعاليم، والتي هي في الأصل تعاليم موسى الأول، وظل يجادل كهنة يهود، الذين خافوا من تزعزع مكانتهم الدينية، ويدحض آراءهم، فيما أحدثوه من بدع وخرافات، لم يأت بها موسى ﷺ. وخاطبهم بلهجة شديدة، وفضحهم في أكثر من مناسبة، وحذّر أتباعه أن يقتدوا بهم في عملهم، وأن يدعوا مثل دعواهم[6]. حتى ضاقوا به ذرعا، وخافوا من زوال مكانتهم، وادعوا بأنّ المسيح لم يرد تخليصهم مما هم فيه، كما تنبّأ بذلك أنبياؤهم من قبل–حسب زعمهم–، وإنما جاء ليفضحهم أمام الناس؛ لذلك تمكّن الحقد من نفوسهم، فبدأوا يدبرون المؤامرات، والدسائس للقضاء على دعوته[7].

وعندما استنفدوا كل قواهم، دون تحقيق هدفهم، قرروا التخلص منه نهائيا؛ فتمت عملية الصلب بطريقة بشعة[8]، والقرآن الكريم يقر بأن الصلب قد حصل، ولكنه شبه لهم، لقوله تعالى: **﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ ولكن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ ۚ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾**[النساء: 157]. وبعد نهاية المسيح، بدأت العقائد المسيحية وتعاليمها تتخذ مسارا جديدا، ونظاما لاهوتيا مغايرا. والسؤال الذي يطرح نفسه هنا، هل المنظومة اللاهوتية الجديدة للمسيحية خدمت الديانة اليهودية؟ وهل حدثت مثاقفة لاهوتية بين المسيحية واليهودية، كان لها تأثيرها في رأب الصدع، وتخفيف حدة التوتر بين اليهودية والمسيحية؟

المطلب الثاني: بولس وإرساء الأسس اللاهوتية المسيحية.

تبوأ بولس الرسول مكانة مرموقة في الديانة المسيحية، وقصته في هذه الديانة قصة عجيبة، وهي تنسب إليه أكثر من نسبتها إلى أحد سواه[9]. لقد لعب بولس دورا كبيرا في رسم ملامح جديدة لتعاليم المسيح، تحاول أن تصيغ منها منظومة دينية مسيحية. بدأت بصياغة طبيعة المسيح وعلاقتها بالله، وبرزت قصة المنقذ للتكفير عن خطيئة البشر، وقد أحدث بولس رؤية تأويلية جديدة في المبادئ اللاهوتية التي عكف المسيح يلقنها لأتباعه، كالختان، وعدم أكل لحم الخنزير[10]. ولذلك فإن الكثير من المؤرخين الثقاة للمسيحية، يعدّونه المؤسس الحقيقي للمسيحية[11].

ولعلنا نتساءل: ماذا قدمت تعاليم بولس الجديدة من خدمات في إطار التقارب المسيحي اليهودي؟ وهل أرست تعاليمه مثاقفة لاهوتية بين الديانتين؟

للإجابة عن هذين السؤالين، ينبغي التذكير بأمرين رئيسيين لازَمَا بولس، وهما محل اتفاق بين المؤرخين المسيحيين:

<u>أولاً: اليهودية التلمودية وبولس.</u>

ولد بولس بطرطوس سنة 10 للميلاد، وكان ينحدر من سلالة يهودية، وينتمي إلى فرقة الفريسيين، فرقة الكهنة، وبذلك ترعرع في أحضان الثقافة اليهودية التلمودية، فارتوى من تعاليمها حد الثمالة[12].

لقد كان توّاقا لمعرفة الديانة اليهودية، فتلقى العلوم الخاصة بأصول اليهود[13]، واستوفاها حتى فاق أقرانه، وقد اعترفت المصادر المسيحية له، بغيرته الشديدة على الديانة اليهودية؛ مقتفيا في ذلك آثار الفريسيين، هؤلاء الذين استقى منهم بولس الرأي في النجاة وفي المنقذ[14]. وهذا التشدد والتعصب لليهودية، لازمه حتى إبان اعتناقه للمسيحية. فقد عاش يهوديا فريسيا الروح، ويعترف المؤرخ المسيحي شارل جنيبر Charles Juniper بذلك، فيقول: «وحتى في دفاعه عن عقيدته الجديدة وهجومه على الشريعة اليهودية، قد بقي يهوديا كما كان من قبل»[15]. وقد تعرّض المؤرخ وول ديورانت Will Durant لهذه المسألة، وأفاض فيها، حين كشف لنا السر من تقهقر تعاليم التلاميذ أمام تعاليمه، فيقول: «ومع كل هذا بقي الرجل الذي فصل المسيحية عن اليهودية من حيث الجوهر والأساس، يهوديا في قوة خلقه، وصرامة مبادئه»[16].

ثانياً: بولس والروح العدوانية للمسيحية:

إن الروح العدوانية التي تشبّع بها بولس تجاه المسيحية بداية، أمرٌ لا خلاف فيه في المصادر المسيحية[17]. فقد كان في صدر حياته من ألدّ أعداء المسيح بلا منازع، وقاد أكبر الحملات ضد المسيح وتلاميذه، فكان يضطهد هم حتى الموت، ويزج بهم في غياهب السجون رجالا ونساءً[18]. وبولس نفسه يعترف بذلك، فيقول: «فأنا ارتأيت في نفسي أن أصنع أمورا كثيرة مضادة لاسم يسوع الناصري، وفعلت ذلك أيضا في أورشليم، فحبست في سجون كثيرة من القديسين آخذا السلطان من قبل رؤساء الكهنة،... وفي كل المجامع كنت أعاقبهم مرارا كثيرة وأضطرهم إلى التجديف»[19].

وتَذكر المصادرُ المسيحية، أن ذلك اليهودي الفريسي الذي كاد للمسيحية هذا الكيد، وسلط على أتباعها ألوانا من العذاب، قد اعتنق المسيحية فجأة. بعد أن نسج في ذلك قصة أسطورية، تتمثل في أن المسيح ظهر له بعد صلبه، وهو في طريقه إلى دمشق ليضطهد المسيحيين[20]. وباعتناق بولس للمسيحية، لم يرض لنفسه أن يكون مسيحيا عاديا، بل أصبح قديسا عظيما، تفوق شهرته حواريّي المسيح[21].

وهنا لا بد من وقفة تأمل، لأسئلة عديدة، تفرض نفسها بإلحاح:

إن هذا الفريسي اليهودي، الذي كرّس حياته في خدمة الديانة اليهودية، وقتل واضطهد المسيحيين. وهو يلاحقهم للتنكيل بهم، وفي طريقه للقبض عليهم يدخل فجأة في المسيحية. فهل يعقل أن يؤمن بالمسيح بهذه السرعة؟ أضف إلى ذلك: كيف تعلم بولس المسيحية؟ ومن هم أساتذته؟ وهو الذي لم ير المسيح قط، ولا سمعه. وكيف تم تصديقه، بمجرد أنه ادعى بعد صلبه مباشرة، أنه بينه وبين المسيح صلة أدخلته المسيحية، وسكبت في نفسه تعاليم جديدة؟ فكيف أضحت لهذه الدعوة الأسطورية تلك القدسية، بحيث لا يمكن مصادرتها أو تسرب الريب إليها؟

والسؤال هنا، كيف ينتقل شخص من الكفر المطلق بدين إلى أن يصبح أعظم داعية للدين الذي كان كافرا به بسرعة فائقة؟ سؤال تاريخي وجيه، ظلّ يستفز الفكر المسيحي، ففتح بذلك الباب على مصراعيه لتأويلات حينا، واعتراف بوجود مؤامرة أحيانا أخرى.

أسهمت الاضطهادات التي تعرض لها الحواريون وأتباعهم، والتي كان المسيح نفسه ضحيتها، في ظهور بولس بمظهر المنقذ والمخلص للديانة المسيحية، حيث أحاط نفسَه بضمانات بعد أن تقرب إلى السلطة، فلقي عناية خاصة من قبل الإمبراطورية الرومانية[22]، ونصَّب نفسَه الأمين الوحيد على المسيحية، وأن كل من يعارض تعاليمه الجديدة، يعد هرطقة دينية وكلاما باطلا[23].

وبهذا تقدم بولس بدعوته الجديدة، وتأخر الحواريون، حتى صار هذا الرجل اليهودي في تاريخ المسيحية أحد الرسل السبعين الذين نزل عليهم روح القدس، وتفاقم تأثيرُه حتى صار معلما لمرقص[24]، أحد كتاب الأناجيل الأربعة، وأضحت رسائلُه وكتبُه أسفارا مقدسة، تشغل القسمَ الأكبر من العهد الجديد، وبذلك أرسى قواعد الديانة المسيحية[25].

ومنه، يمكن للباحث، أن يتساءل عما مدى ارتباط هذه التعاليم المسيحية الجديدة بتطور العلاقة المسيحية الغربية واليهودية فيما بعد؟ والباحث المحقق، يرصد تضاربا بين آراء المحققين إلى حد التناقض، فهناك من انتصر إلى أن بولس بتعاليمه الجديدة عمد إلى تهويد المسيحية وتطويعها لخدمة الديانة اليهودية، وعزز رأيه بجملة من الشواهد التاريخية، لا يتسع المقام للتفصيل فيها.

وبالمقابل ذهب فريقٌ آخر من المحققين إلى عكس الفكرة الأولى، بأن بولس الرسول أحدث قطيعة بين اليهودية والمسيحية، و ليس أدل على ذلك، دعوته إلى إلغاء الختان، وغيره من الطقوس اليهودية، وكانت أغلب وصاياه تدعو إلى تحرير المسيحية من التعاليم الدينية اليهودية[26].

ومهما يكن من خلاف بين المؤرخين والدارسين، بخصوص تهويد المسيحية من عدمها مع بولس، وليس من هدفنا هنا، أن نفاضل بين الرأيين، وأن نغلب أحدهما على الآخر. إلا أنه لا خلاف، بأن العلاقة اليهودية والمسيحية شهدت عهدا جديدا، خفت فيه حدة التوتر والعداوة المستحكمة، فأضحت المسيحية لا تطرح نفسها كبديل حتمي لليهودية، وأنها شأن يهودي خالص، هدفه إحلال تعاليم المسيح الجديدة محل التعاليم اليهودية الموروثة. لقد أضحى الحديث عن مسيحية لا تخص اليهود وإنما هي شأن عالمي. لقد أسكب بولس في تعاليمه المسيحية حمولة فلسفية يونانية وغنوصية رومانية وثنية، وُجدت لها أتباعٌ كُثر عند الوثنيين اليونان والرومان؛ متأثراً في ذلك بما كان شائعًا من أفكار في تلك البيئة، وهذا ما جعل المؤرخ الكاثوليكي بول جونسون Paul Johnson يتساءل: هل استسلمت الإمبراطورية للمسيحية؟ أم أن المسيحية زنت مع الإمبراطورية[27]؟ ومع هذه الحمولة الفلسفية والغنوصية التي طبعت المسيحية بفضل بولس؛ فإن تعاليمه لم تخل من نزعة يهودية بادية، فلم تنكر شرعية كتاب اليهود المقدس، بل استوعبته في كتابها ذاته، و ظلت التوراة مصدر الشريعة المسيحية، بفضل بولس الذي أطلق على التوراة اسم العهد القديم، وبهذا لقت تعاليم بولس رواجا كبيرا في أوساط الوثنيين، وتفهما من قبل جمهور كبير من اليهود[28].

من الثابت تاريخيا كما تمت الإشارة إليه، أن طبيعة العلاقة بين اليهودية والمسيحية يشوبها الاضطراب والتوتر الكبير منذ البداية[29]، ثم برز الدور الذي قام به بولس بتعاليمه اللاهوتية، سمحت بأن تأخذ العلاقة اليهودية المسيحية طابعا جديدا يتسم بالإيجابية، وسرعان ما راحت هذه العلاقة تتحسن وتتوطد، حين هاجر اليهود إلى أوروبا موطن المسيحية، ومحاولة التقارب اللاهوتي الذي حدث بعد ذلك.

المبحث الثاني:
المثاقفة اللاهوتية البروتستانتية اليهودية.

إذا كانت تعاليم بولس قد نجحت في تخفيف حدة التوتر بين الديانتين، فإن هذه المرحلة شهدت بالذات توافقا لاهوتيا لافتا بين المسيحية البروتستانتية واليهودية، كان له عظيم الأثر في تحسين وتوطيد العلاقة المسيحية اليهودية.

المطلب الأول: مصالحة المسيحيين وامتصاص غضبهم.

شهدت أوروبا خلال القرون الوسطى، وبخاصة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر سلسلة دامية من التنكيل والاضطهاد ضد اليهود، وبقي بنو إسرائيل يرزحون تحت نير هذا الاستعباد ردحا من الزمن، فقد طُردوا من إنجلترا في نهاية القرن الثالث عشر الميلادي، ومن فرنسا في نهاية القرن الرابع عشر، ومن إسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر. وذاق اليهود على مدى هذه القرون ألوانا من العذاب والاضطهاد، وتولّت المؤرخة اليهودية باربرة تشمان BARBARA TUCHMAN تتبع جذور الكراهية لليهود في أوروبا، بأنها تعود إلى فترات الحروب الصليبية، لأسباب دينية واقتصادية؛ فاليهود في نظر مسيحيي أوروبا، هم أعداء المسيح وقتَلَتُه من جهة، وهم يشكلون طبقة اقتصادية ثرية تتحكم في ناصية التجارة الخارجية، وأخضعت أوروبا لقبضتها من جهة أخرى(30).

ولهذا كان طبيعيا، أن تُعدّ اليهودية حركة تمرد على الدولة، وتفكيك لعراها، ولذلك دفعت هذه الظروف التي ألمّت باليهود إلى الهجرة الجماعية، والتي لم تجد محتضنا لذلك سوى البلاد الإسلامية، ويعترف القس إكرام بأنه في عام 1490م شهدت مذابح جماعية لليهود في إسبانيا والبرتغال، فالتجأ اليهود إلى القسطنطينية حيث لقُوا ترحيبا من الإمبراطورية العثمانية، وشغلوا مناصب عليا بها، وكان هناك أكبر مركز تجمع يهودي في ذلك الوقت(31). ويعترف المفكر اليهودي صموئيل ايتنجر Samuel Ettinger بذلك حين يؤكد بأن وضع يهود الشرق، كان أفضل بكثير من وضع يهود أوروبا الذين تعرضوا للاضطهاد والتنكيل، لأسباب سياسية واقتصادية ودينية، فكثيرا ما كانوا يتعرضون للطرد من البلدان التي هاجروا إليها، في حين أن يهود بلدان الشرق لم يتعرضوا لشيء من هذا(32).

ولكن عندما بدأت الخلافة الإسلامية تعيش مرحلة التذبذب، وتسلك طريق التراجع، وتفقد فرصتها في الهيمنة على العالم، ولاح مؤشر هذا التراجع مع سقوط غرناطة عام 1492م، حيث انتشرت محاكم التفتيش تفتك بالمسلمين واليهود على السواء، هاجر جمهور غفير من اليهود إلى أوروبا من جديد، واستوطنوا بها، وتحكّموا في زمام أمورها فيما بعد(33).

والسؤال الذي يطرح نفسه بإلحاح هو: كيف استطاع اليهود الذهاب إلى أوروبا وأن يستقروا بها؟ مع تلك العداوة الدفينة التي تضمرها المسيحية لهم؟ والأدهى من ذلك كيف انقلب ذلك العداء المستحكم إلى ولاء أعمى؟

المطلب الثاني: اليهودية واستيعاب المسيحية الغربية.

ساد الاعتقاد عند الكهنة اليهود، بأن إزالة الحقد المسيحي على اليهود، يتأتى باستيعاب المسيحية من الداخل من أجل تحقيق توافق ديني. ومع أن بعض تعاليم المسيحية –كما قدمنا– كانت نتاجا لتعاليم يهودية إلى حد بعيد بفضل بولس الرسول، وبخاصة بعد أن أضحى العهد القديم جزءا من الكتاب المقدس، إلا أن التغيرات العقائدية التي جاءت بها حركة الإصلاح حققت مثاقفة لاهوتية وتوافقا دينيا بين الديانتين غير مسبوق، وبخاصة مع بعض الفرق البروتستانتية التي يتعذر التفريق بينها وبين اليهودية الصهيونية، ولم يكن من قبيل المصادفة، أن يكون لبولس دور في فتح الباب على مصراعيه، في ظهور البروتستانتية في القرن السادس للميلاد(34).

ولم تبلغ المثاقفة اللاهوتية بين اليهودية والمسيحية ما بلغته، مع ظهور بما يعرف بالإصلاح الديني في المسيحية، ولهذا الإصلاح أسباب وظروف ملحة مرت بها الكنيسة، فقد استغلت الكنيسة قبضتها وسلطتها الدينية أبشع استغلال، فتسلط رجال الدين على رقاب البشر، ببيع صكوك الغفران، وفرض ضرائب باهظة أثقلت كاهل المسيحيين، ومعاداة الكنيسة

العلم والتنكيل بالعلماء[35]. وهكذا بدت الكنيسة مشلولة، لا تقوى على لعب أي دور في حياة المسيحية، مما أثار سخط المسيحيين، وتمخض عن هذا الوضع بروز حركة إصلاحية تزعمها مارتن لوثر.

أولاً: مارتن لوثر والمثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية.

سطع نجم مارتن لوثر في الأفق، بصفته زعيما لحركة الإصلاحي الديني المسيحي، نشطت آراؤه وأفكاره في بعث المعتقدات اليهودية في أوروبا وأمريكا، وجعلتها تحتل الصدارة على حساب المسيحية.

ومن أجل ذلك طُرح أكثر من سؤال في هذا السياق، حول خطة لوثر في إصلاح المسيحية، هل تتمثل في تقييد سلطة البابا، وتحرير الفكر المسيحي من سلطة الكهنوتية الجامدة التي أعاقت التطور العلمي المنشود؟ أم إن خطته تعدت إلى المس بالمسيحية كديانة؟ ثم لماذا هذا التوافق الديني المسيحي اليهودي الذي برز مع البروتستانتية؟

يعود هذا التوافق الديني اليهودي المسيحي، والتقارب الحاصل بين الديانتين إلى بروز أسماء يهودية لامعة، مهدت الطريق لهذا التقارب وظهور الحركة الإصلاحية، وعلى رأسهم جون ويكلف J. WYCLIF الإنجليزي الذي أسدى خدمة جليلة للتفكير اليهودي في ترجمة التوراة إلى اللغة الإنجليزية، مما أسهم في تسرب الآراء والمعتقدات اليهودية إلى ثلة من اللاهوتيين المسيحيين[36].

وميول مارتن لوثر اليهودية غير خافية، منذ نعومة أظفاره و تحمسه لدراسة اللغة العبرية، وشغفه بدراسة الكتاب المقدس[37]. وتأكيده على مركزية هذا الكتاب في الحياة المسيحية. ففي عام 1523م كتب لوثر كتابا تحت عنوان "عيسى وُلِدَ يهوديًا" الذي أعيد طبعه سبع مرات في نفس العام[38]. أفاض من خلاله في بيان أفضلية اليهود، وشجب اضطهاد الكنيسة الكاثوليكية لهم، محتجّا بأن المسيحيين واليهود ينحدرون من نسل واحد[39].

يؤمن مارتن لوثر، بأن نبوءة التوراة حول إنقاذ كل إسرائيل ستتحقق[40]. وقد أعلن في أكثر من مرة، بأنه مستعد لتزويدهم بكل ما قد يحتاجونه من دعم، للعودة إلى أرضهم الموعودة. ومما يؤكد ذلك أن لوثر كان يحظى باحترام كبير من قبل الأسباط اليهودية، إلى حد اعتبار ظهوره وانتشار أفكاره، بشارة على قرب عودة المسيح المنتظر[41].

وهكذا، تشكلت المثاقفة اليهودية البروتستانتية والتي تمثلت في المبادئ الجديدة للبروتستانتية:

1- الإقرار بأن اليهود هم شعب الله المختار.
2- وجوب الاعتقاد بالميثاق الإلهي السرمدي الذي يربط اليهود بالأرض المقدسة في فلسطين.
3- ربط العقيدة المسيحية بعودة المسيح المخلص بقيام الكيان الصهيوني.

هذه المرتكزات شكّلت في الماضي، وهي تشكل اليوم مثاقفة لاهوتية جديدة، تُسخر الاعتقاد الديني المسيحي لتحقيق مكاسب يهودية[42].

والجدير بالذكر، أن التقاف رجال الإصلاح حول العهد القديم، أسهم بقسط وافر في تغذية النزعة اليهودية عندهم، فقد نشطت ترجمة العهد القديم إلى اللغات الأوروبية، ولم يعد هذا الكتاب مجرد أثر أدبي شائعا بين عامة المسيحيين فحسب، بل إنه أصبح مصدر المعارف التاريخية القديمة[43]. وبسبب هذا الإرث المشترك، أشار بن غريون للكتاب المقدس المسيحي، بقوله: إنه صك اليهود المقدس لملكية فلسطين[44]. وتبعا لذلك، أصبحت فلسطين أرضا يهودية في المنظومة البروتستانتية، وأضحى اليهود غرباء في أوروبا، وسيعودون إلى فلسطين، عندما تحين الفرصة المناسبة.

إن تقييم مسار حركة الإصلاح، أنها لم تكن في مستوى طموحات المسيحيين عامة، فلم تُعْنَ بتقييد سلطة البابا ومحاربة صكوك الغفران ومسألة الاستحالة، بل أسهمت في ظهور فرقة جديدة بين المسيحيين، فاتسعت رقعة الخلاف بينهم، وتأسست كنائس أخرى منفصلة عن الكنيسة الأم، وأسفرت عن انفجار أعظم الحركات المسيحية التي تجلت فيها المثاقفة اللاهوتية المسيحية اليهودية في أنضج صورة، ومنها "حركة شهود يهوه" و"السبتيين"، ونشطت في العصر الحديث "الحركة الألفية" التي عمدت إلى إقامة المؤسسات والشركات من أجل إعادة اليهود إلى فلسطين.

ومنه، فإن العلاقات البروتستانتية اليهودية، فتحت الباب على مصراعيه أمام مثاقفة لاهوتية شاملة بين اليهودية والمسيحية، ولم يقتصر هذا التوافق على الجانب اللاهوتي فقط، بل تعدى ليشمل توافقا في الأفكار والاقتصاد والسياسة، حتى برز مصطلح المسيحية اليهودية أو المسيحية الصهيونية، وهذا يفسر التطابق التام والكامل لكبرى التعاليم اللاهوتية بين الديانتين.

تبعا لما سبق، إن هذا التعاطف الغربي الرهيب، مع اليهودية والتنسيق التام معها، والتأييد الدائم والدعم المادي والسياسي لدولة إسرائيل، مدين إلى المثاقفة اللاهوتية اليهودية وفرق عديدة من المسيحية البروتستانتية.

المبحث الثالث:
الحوار المسيحي الكاثوليكي اليهودي.

وصلت المثاقفة اللاهوتية المسيحية اليهودية أوجها مع البروتستانتية، مما شجع إلى شروع مثاقفة لاهوتية، بين اليهودية والمسيحية والكاثوليكية.

لقد نجح اليهود بفضل هذه المثاقفة اللاهوتية في تحويل حدث المحرقة، من جريمة إنسانية ارتكبها النازيون –أيًّا كان حجمها– إلى قضية مظلومية تاريخية لليهود لصيقة بالعالم المسيحي، وعلى المسيحيين أن يدفعوا ثمنها، مما دفع إلى ولادة الصداقة اليهودية المسيحية Judeo–Christian friendship في عام 1947، فتحت بذلك حقبة من المعرفة المتبادلة والعمل المشترك، بهدف العمل على إصلاح الظلم الذي وقع فيه اليهود، ومحاربة معاداة السامية واليهودية في جميع مظاهرها، إلى أن جاء انعقاد المجمع الفاتيكاني الثاني والذي أرسى بداية فعلية لحوار بين اليهودية والمسيحية الكاثوليكية، يحمل طابعا لاهوتيا متميزا، يختلف عن أي حوار آخر بين الأديان.

المطلب الأول: القرارات اللاهوتية للمجمع الفاتيكاني الثاني.

يعد المجمع الفاتيكاني الثاني The Second Vatican Council (1962 – 1965م) نقطة تحول جوهرية في تاريخ علاقة الكنيسة الكاثوليكية بالأديان، فقد أحدث ثورة كوبرنيكية على حد تعبير الأب جوزيف كميل Joseph Camille[45]. وباعتراف آباء الكنيسة الكاثوليكية، بأنه قلما حُظي الحوار الديني في مجمع كنسي مسيحي، ما حُظي إياه المجمع الفاتيكاني الثاني، من أثير المعاني وعميق المبادئ في اللاهوت المسيحي، وأضحى الحوار السبيل الأمثل لمسائل الاختلاف بين الأديان والمذاهب والمدارس والفرق، كما أعطى هذا المجمع إشارة واضحة لبداية الانعتاق والتحرر من قيود وترسبات ماضي الكنيسة الفظيع المنغلق، لقد جاء إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني، ليعبر على أن الكنيسة الكاثوليكية ليست الطريق الوحيد الفريد

لخلاص الجنس البشري، إذ ثمة طرائق دينية أخرى، يستخدمها الله لتحقيق خلاص غير المسيحين، ويمكن للكنيسة أن تتعلم من الجميع، بما في ذلك أعدائها[46].

تتضح أهمية هذا المجمع، باعتبار قراراته اللاهوتية الحاسمة والتي لم تعرفها الكنيسة الكاثوليكية من قبل، في أن عقيدة الخلاص تتسع لغير المؤمنين، والحضور الكبير اللافت لرجال الدين رفيعي المستوى وأصحاب المذاهب الدينية الأخرى. حضر هذا المجمع المسكوني رقم 21 ما يقارب 2400 رجل دين كاثوليكي، مع بعض الملاحظين والمتابعين من الطوائف الأخرى؛ الأرثوذكسية والروم الأرثوذكس والبروتستانت، وبعض المدعوين من العلمانيين، ويعد هذا المجمع الأكبر في تاريخ الكنيسة، من حيث عدد المشاركين فيه. وافتتح المجمع البابا يوحنا الثالث والعشرون في 11 أكتوبر 1962م، وختم هذا المجمع المسكوني البابا بولس السادس في 7 ديسمبر 1965م، وصدر عن المجمع تصريح عن علاقة الكنيسة بالديانات غير المسيحية.

تمت مناقشة التحديات التي تواجه الكنيسة؛ مثل: التكيف مع المستجدات، والانفتاح على قضايا العصر. وراجع المجمع الأزمة الداخلية للكنيسة، وضرورة إعادة الحياة لها، وقضية وحدة الكنائس، وفتح الباب لأول مرة في تاريخها أمام التفكير والحوار، في العلاقة مع الآخر غير المؤمن بالمسيحية[48].

إن سعي الكنيسة لعقد هذا المجمع، يأتي في ظل انفجار المعرفة الهائل بالغرب، وبزوغ عصر النهضة الأوروبية الحديثة، وحركة الإصلاح الديني. وجدت الكنيسة الكاثوليكية نفسها أمام ثلاثة مواقف: موقف الانكفاء على الذات، وموقف الاقتراب من العالم بغية إدانته، وموقف الحوار وهو اللحاق بالركب الحضاري، وقد اقتضت الضرورة أن تأخذ بالموقف الثالث مقابل بعض التنازلات، وتتخلص من قيود الأفكار الجامدة والتقاليد المكبلة.

وبهذا، نصت قرارات المجمع وتوصياته على تطوير العلاقات الإيجابية مع العالم الحديث، والتخلي عن نظام الحروب المعمول به في المجامع السابقة، وتأكيد حقوق الإنسان خاصةً الحرية الدينية، ونادت بالتعددية الدينية، كما دعت إلى إصلاح الروحانية الكاثوليكية والسلطة الكنسية، ولعل أهم قرارات هذا المجمع هو الإقرار بعقيدة خلاص غير المؤمنين بالمسيحية، وفتح المجال أمام الحوار بين الأديان كافةً، حتى أديان آسيا؛ كالهندوسية والبوذية، والنظرة إلى اليهودية بإيجابية، وتبرئة اليهود من دم المسيح[47].

أرجع الأب عادل تيودور خوري تغيير موقف الكنيسة الكاثوليكية من الأديان، إلى انكباب رجال اللاهوت المسيحيين على البحث في مقارنة الأديان، والصحوة التي تعرفها الأديان في العالم، وتزايد الاهتمام بها. ودعت إلى إعادة نظر اللاهوت الكاثوليكي في الأديان، وحفزت على النظر إلى الأديان بإيجابية[48]. ضف إلى ذلك، التحولات الكبيرة التي شهدتها أوروبا منذ بداية عصر النهضة والتنوير، وانحصار الفكر اللاهوتي في قوالبه الجامدة وتراجع دوره وتقلص مساحات تأثيره؛ ليتقدم الفكر العقلاني عليه، ويستأثر بالأمر كله طوال القرون الماضية.

ومع عدم مواكبة المسيحية للتطور العلمي الحاصل في الغرب، فإننا يمكن أن نتفهم هذا التغير الذي حدث في مواقف الكنيسة الكاثوليكية، نحو المزيد من القبول بالآخر، والحوار معه، وترسيخ التعددية الفكرية، والحرية الدينية، وهي ركائز أفكار عصر الأنوار[49].

المطلب الثاني: المثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية الكاثوليكية في مجمع الفاتيكان الثاني.

يمكن القول بأن مجمع الفاتيكان الثاني حقق توافقا لاهوتيا بين المسيحية الكاثوليكية واليهودية، لم يتحقق لأي دين من الأديان الأخرى، مما كان له عظيم الأثر في التقارب الديني والتفكير في التعاون المسيحي اليهودي.

1) **المشترك الديني:** حقق اليهود مكاسب كبرى من مجمع الفاتيكان الثاني لم يحققها أصحاب الديانات والملل الأخرى، لقد ألمحت هذه المقررات بمكانة إبراهيم في اليهودية، إذ أشـــارت إلى الرابط الروحي الذي يجمع أبناء العهد الجديد باليهود أبناء إبراهيم ﷺ، وبالمقابل لم تتم الإشارة إلى المسلمين، مع أن المسلمين الأبناء الأوائل لإبراهيم ﷺ، عن طريق ابنه البكر إسماعيل ﷺ.

وإن كان اليهود، قد نالوا حظوة واهتماما، فإن المسلمين لم ينالوا ذلك الحظ من الاهتمام في هذا المجمع، مع أن الإسلام آمن برسالة المسيح، واعتبره من أولي العزم من الرسل، وأعلى من شان الإنجيل، فيه هدى ورحمة للناس. وأما اليهود فيكفيهم إهانة وإساءة إلى المسيحية، بأنهم لم يؤمنوا بالمسيح وحاربوه ورموا أمه الطاهرة البتول بأبشع الاتهامات. هذه الحظوة لليهود في هذا المجمع، عبّر عنها الحاخام سيجمان siegman في عام 1975م بقوله: "إنّ السنوات العشر الماضية، تغيرت في رأيي جوهر علاقات الكنيسة الكاثوليكية مع الشعب اليهودي – على الرغم من كل ما تبقى فيها من تعقيد وكل إمكاناتهم الصراع والمعاناة، يمكننا بحق أن نؤكد أن هذا هو عملية لا رجعة فيها"[50].

2) **الترويج لرؤية لاهوتية جديدة:** أسهمت إشاعة هذه الرؤية اللاهوتية الجديدة لليهودية[51] في خطة الخلاص، أو في تبديد الريب وتجسير الفجوة بين الديانتين، ودعت الأتباع إلى تناسي مآسي الماضي، والانصراف بإخلاص إلى مواجهة الأزمات والتّحكم في الصّراعات؛ بغية توثيق عرى التعاون بين الكاثوليك واليهود.

3) **تبرئة اليهود من قتل المسيح:** أشارت قرارات المجمع، بأن الشعب اليهودي وثيق الصلة بشعب الله، وبموجبها تم رفض اتهامهم –إجمالًا– بالمسؤولية عن صلب المسيح؛ مع أن النصوص التي تدينهم لا تزال موثقة في الأناجيل.

فكنيسة المسيح تعترف، بأن باكورة إيمانها ودعوتها للخلاص، تشمل الآباء وموسى ﷺ والأنبياء، وبأن أتباع المسيح، هم أبناء إبراهيم بحسب التقليد الإيماني، وقد شملتهم رسالته"[52]. وعدلت الوثيقة وصدرت في أكتوبر 1965 تحت مسمى «وثيقة تبرئة اليهود»، وتضمنت التأكيد على أن ما حدث للمسيح من اعتداء لا يمكن أن يعزى إلى جميع اليهود الذين كانوا يعيشون آنذاك، ولا إلى يهود اليوم، وما لحق من أذى، لا ينسب لجميع الشعب اليهودي[53]. للإشارة إلى أن الكنيسة الشرقية خالفت هذا التوجه اللاهوتي الجديد، وحملوا اليهود مسؤوليته، وأنه لا يمكن تبرئتهم من قتل المسيح.

4) **معاداة السامية:** لقد أعطيت الإشارة إلى بدأ مؤتمرات جادة للحوار المسيحي الكاثوليكي اليهودي، توجت في ديسمبر 1970 بإنشاء اللجنة الاتصال الدولي بين الكنيسة الكاثوليكية واليهودية التي عقدت اجتماعات في باريس 1971، مرسيليا 1972: تحت شعار معاداة السامية، اضطهاد اليهود في اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفياتية[54]. واتخذت معاداة السامية مع البابا فرنسيس Pope Francis معاني جديدة، فشجع البابا فرنسيس على إجراء بحث تاريخي حول الفريسيين اليهود من أجل تقديمهم بشكل أنسب في التعليم و الوعظ الكاثوليكي، وبلغ حد التودد لليهود باعتبار أي لفظ يسيئ للفريسيين يدخل ضمن معاداة السامية[55].

تبعا لقرارات المجمع، صدرت تعليمة عن لجنة المقدس للعلاقات الدينية اليهودية والمسيحية نشرت في 16 مارس 1998، تعلّقت بالمحرقة، بعنوان: «لنتذكّر، رؤى في المحرقة». تتضمن تصريحا لاهوتيا جريئا، ينص أن علاقات المسيحين باليهود هي علاقات سلبيّة. ويهيب بالجميع إلى اتجاه أكثر وضوحا، وإدانة اللاّساميّة. خاطبت الوثيقة مشاعر المسيحيّين للتذكّير بتراجيديا المحرقة. وشاع القول بأن ما جعل المحرقة ممكنة هو شيطنة متعمدة لليهود قام بها الباباوات في القرنين الماضيين. وفي رسالة واضحة وصريحة تضمنتها فقرات التعليمة، عبّر «يوحنا بولس الثاني» عن رغبته في تناسي الخلافات، وطي صفحات الماضي وتضميد الجراح، وتقديم تنازلات، بما يفتح لآفاق التعاون والتآلف لتشييد مستقبل مشترك، لا مكان فيه لمآسي المحرقة[56].

5) **<u>عدم التبشير بالمسيحية في أوساط اليهود</u>**: قامت الكنيسة الكاثوليكية بخطوة إضافية باتجاه اليهود، تمثلت باعترافها الصريح، بأنها لا تسعى إلى حملهم على تغيير دينهم، وتأكيدها أن المسيحية لا تعمل بأن تحل محل اليهودية. وأقرت لجنة العلاقات الدينية مع اليهودية في وثيقة لاهوتية–تعد معلما جديدا على طريق المصالحة– بأن لليهود حظا في الخلاص الإلهي، حتى لو لم يعترفوا بالمسيح، وكان البابا بنديكتوس السادس عشر Pope Benedict XVI أعلن في مقابلات كثيرة، عبّر فيها عن تصديه لأي خطوة لحمل اليهود على اعتناق المسيحية[57].

المطلب الثالث: الآثار اللاهوتية المترتبة من إعلان المجمع الفاتيكاني الثاني.

تعتبر «نوسترا آيتات» –Nostra aetate– أو «مجلس الحوار مع الأديان غير المسيحيّة» المؤسّسةَ الأهمّ التي أنشئت عقب مجمع الفاتيكان الثّاني (1962–1965)، باعتبارها المرجع النّظري والتطبيقي لعلاقة الكاثوليكيّة مع الأديان والعقائد غير المسيحيّة، وحظيت اليهودية بموقع متقدم، ضمن نشاطاتها التي باشرتها في إطار الدعم وتشجيع الحوار، والتي من أهمها:

– تشكيل لجنة العلاقات الدينية مع اليهودية سنة 1974م، من قبل البابا بولس السّادس، والتي أُلحقت بالمجلس البابوي لتطوير العلاقات المسيحية اليهودية، أخذت على عاتقها الإشراف والمتابعة في تطوّر الحوار المسيحي اليهودي. وأصدرت لجنة الكرسي الرّسولي، في السنة نفسها ديسمبر 1974م، أولَ تعليمة تدعو فيها إلى التّقرب من اليهوديّة لمعرفتها بالشّكل التي هي عليها أكثر، ومباشرة عمل الحوار مع اليهود، وبيان مجالات الحوار والتعاون في التّدريس والتّعليم والمجال الاجتماعي[58].

– شجعت هذه اللقاءات على فتح حوار مع منظري الصهيونية، وكان أول لقاء بين اليهود الصهيونيين والفاتيكان عام 1904م، حين تقابل تيودور هرتزل Tudor Herzl قطب الصهيونية، والبابا بيوس العاشر And Pope Pius X، فأوضح هرتزل مشروعه الصهيوني، وطلب منه المساعدة المعنوية والدينية، إلا أن البابا رفض ذلك بحجة أن اليهود لم يعترفوا بالسيد المسيح، ولذلك لا يمكن الاعتراف بالشعب اليهودي[59]. وتبعا لذلك عارضت الكنيسة الكاثوليكية بشدة قرارات الاستيطان اليهودي، ونددت بإقامة الكيان الصهيوني في فلسطين في أكثر من مناسبة، وظلت على موقفها حتى قيام هذا الكيان عام 1948م، بالرغم من الضغوطات الدولية والعالمية التي مارستها الدول الغربية لتغيير موقفها[60].

ومع المجمع الفاتيكاني الثاني، وتبعا للمكاسب التي حققها اليهود، لاحت في الأفق دعوات التقارب والحوار بين المسيحية الغربية واليهودية، توّجت بإصدار توصيات تدعو صراحة إلى ضرورة التلاحم بين العهدين القديم والجديد

ولتفسير هذا التقارب، كان للجانب السياسي دوره الفاعل والمؤثر في التغير الذي حصل في موقف الفاتيكان من إسرائيل. لقد نجحت الصهيونية في استمالة الكاثوليك؛ باستغلالها الحرب الباردة بين الشرق والغرب لمهاجمة الشيوعية، بحملات منظمة في مجال الهجوم على الشيوعية، وأن الاتحاد السوفياتي ومن يناصره من الدول الشرقية تقدم للعرب الأسلحة. وتبعا لذلك، تقدم البابا بطلب لقبول دولة يهودية عضوا بهيئة الأمم المتحدة، ووجد هذا الطلب دعما وتأييدا من قبل دول أمريكا اللاتينية، بناء على رغبة البابا آنذاك، وهي دول كاثوليكية تخضع لأوامر الفاتيكان(61).

كما نشط اليهود في تشجيع حركات التقارب التي أسهمت بدورها في التأثير في قرارات الفاتيكان، وصاحب ذلك قرارات بابوية، تلتحم فيها النظم المسيحية باليهودية، وبرزت أكثر مع تولّي البابا بولس يوحنّا الثاني كرسي القيادة البابوية في الفاتيكان. لقد اعتبر بابا يوحنا أن الجماعتين اليهودية والمسيحية تجمعهما عقيدة واحدة، وأنّ المستقبل للتعايش بين أتباع الديانتين يتم عبر تعزيز الحوار والتفاهم والسلام، إلى أن تم الاعتراف بدولة إسرائيل لاحقا(62). وتبع ذلك بإصدار الفاتيكان كتابا تحت عنوان "ملاحظات لتقديم أفضل لليهود واليهودية"، حثّ فيه من خلاله المسيحيين على اجتثاث رواسب العداء للسامية الكائن في نفوس الكاثوليك، وذكّرهم بأن المسيح يهودي، وسيظل كذلك دائما، وناشد كاثوليك العالم لتفهم ارتباط اليهود الديني بأرض أجدادهم(63).

وبلغت المثاقفة اللاهوتية بين الديانتين مداها، بصدور تعليمة رسمية عن لجنة الفاتيكان 1985م برأت اليهود من دم المسيح، وتضمنت توصيات لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين بعدم التعرض لهم، وتحميلهم مسؤولية قتل المسيح، ويأتي إصدار هذه التعليمة بناء على توصيات المجمع الفاتيكاني الثاني(64).

وآخر حلقة في سلسلة المثاقفة اللاهوتية اليهودية والكاثوليك، تتمثل في تلك الوثيقة التي تعترف بالذنب تجاه اليهود، وترجو الصفح والمغفرة منهم، وتعتذر لهم عن توقف الفاتيكان أثناء مذابح النازية، صدرت وثيقة المغفرة خلال الفترة 30أكتوبر إلى 02 نوفمبر 1997م، حين قدّم البابا يوحنا بولس الثاني وثيقة بهذا الشأن، لتتم مناقشتها والتصويت عليها من قِبل ستين قسيسا في الكنيسة الكاثوليكية والبروتستانتية. وقد أوصت هذه الوثيقة بتعديل النصوص الإنجيلية التي تهاجم اليهود(65). والجدير بالذكر أنه في خضم هذه المثاقفة اللاهوتية الحاصلة، لم تكد الساحة المسيحية تخلو من قساوسة نددوا بالمثاقفة اللاهوتية الحاصلة، فهذا القس جيرالد ويزود Gerald. W يصرح قائلاً: «إن القوى ذاتها التي صلبت المسيح طيلة 1900 سنة، تسعى اليوم إلى صلب كنيسته»(66).

إن التقارب المسيحي اليهودي الحاصل على جميع المستويات، مدين إلى المثاقفة اللاهوتية بين الديانتين والتي تبلورت عبر محطات تاريخية كبرى، تشكلت منها منظومة لاهوتية متوافقة، أسهمت في رأب الصدع وإزالة العداوة التاريخية، وفتحت عهدا من التفاهم والتجانس في الرؤية الواحدة لكبرى القضايا. وأنّ هذا التعاطف المسيحي الغربي الرهيب، مع اليهودية والتنسيق التام معها، والتأييد الدائم والدعم المادي والسياسي لدولة إسرائيل، مدين كله إلى ذلك التوافق الديني والامتزاج الروحي الذي حققته المثاقفة اللاهوتية اليهودية والمسيحية الغربية.

الخاتمة وأهم النتائج.

وفي الختام أحمد الله تعالى على توفيقه ومنه وفضله علي بأن أعانني على الكتابة في هذا الموضوع الذي أرجو الله تعالى أن يكون فيه الفائدة والنفع للباحثين والدارسين، وأن أكون قد أسهمت من خلاله بتوضيح قضية لطالما أشغلتني واستفزت

مشاعري الأكاديمية والمعرفية.

وحيث انتهى بنا المطاف إلى هذا الحد من هذه الدراسة حان وقت تسجيل أهم نتائج البحث والمتمثلة في الآتي:

1) إنّ الحوار المسيحي اليهودي له طابعه المميز، هو حوارٌ متفرّدٌ تأرجح من وضع إلى نقيضه، من عداء مستحكم إلى تآلف وانسجام.
2) كان لليهود بداية دور السبق في محاولة تحويل هذه القطيعة اللاهوتية إلى توافق لاهوتي، وتوج هذا التوافق بتشكل مثاقفة لاهوتية بلغت أوجها مع البروتستانتية، ألقت بظلالها على عالم الأفكار والاقتصاد والسياسة.
3) إن المثاقفة اللاهوتية تتعدى مجرد التوافق الديني والحوار اللاهوتي بين منظومتين دينتين إلى تجسيد وترجمة هذا التوافق اللاهوتي والديني إلى واقع ملموس.
4) جاء مجمع الفاتيكان الثاني، ليثير طفرة نوعية في العلاقة اليهودية الكاثوليكية؛ لما تضمنه من توافق ديني، نتاجه مثاقفة لاهوتية جديدة، لا يمكن فيها أن تُعدّ اليهوديّة مجرّد دين مخالف، بل اليهود هم آباء الإيمان الكنسي.
5) إنّ المثاقفة اللاهوتية الكاثوليكية واليهودية المعاصرة، تجعل من الحوار الديني الكاثوليكي اليهودي، حوارا داخليّا في الدّين، واللاهوت الجديد الذي جاء به المسيح، لا يلغي اللاهوت السّابق الذي جاء به موسى ولكن يُكمله.
6) بلغت المثاقفة اللاهوتية بين المسيحية والكاثوليكية مداها بعد مجمع الفاتيكان الثاني، حيث برأت اليهود من دم المسيح، وتضمنت توصيات لرجال الدين الكاثوليك والكنائس والمؤرخين بعدم التعرض لهم، وتحميلهم مسؤولية قتل المسيح.
7) مؤتمرات الحوار المسيحي اليهودي، إنما هو مشروع عمل ينطلق من رؤية استراتيجية مشتركة، تبرز دور الدين في تضميد الجراح وتوطيد التواصل وحلحلة المشاكل العالقة، ويدعو إلى المشاركة الشاملة لجميع المؤسسات، وتوفير فضاء يتعزز فيه التعاون عابرا للحدود، على عكس مؤتمرات الحوار المسيحي الإسلامي التي لم تحقق نتائج عملية تذكر، حيث لا تتعدى كونها لقاءات شكلية، تغلب عليها المجاملات والظهور الإعلامي، فلا المسلمون ولا غيرهم جنى ثمار لقاءات ومؤتمرات عديدة.

الهوامش.

(1) سعد رستم، **الفرق والمذاهب المسيحية منذ ظهور الإسلام حتى اليوم**، دمشق، دار الأوائل، 2004، ص33.

(2) Christienne. S**, Juifs، Christiens et Romaints, paris,** les edition de la bible, novembre 1985, p 9.

(3) العهد الجديد، **إنجيل متّى**: الإصحاح 3، فقرة 1-3.

(4) H. G. Wills, **Abrégé de l'histoire du monde**, GENÈVE, EDITION Jeneber, p160.

(5) العهد الجديد، **إنجيل مرقص**: الإصحاح 10، فقرة 35-54.

H. G. Wills, **Abrégé de l'histoire du monde**, P 6-8.

(6) MARCHDONE. **JESUS ET LES PHARISIEN**, Paris, Les dossiers de la Bible, n°12. Mars 1986، pp 6-8.

(7) إسرائيل شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود، وطأة 3000 عام**، بيروت، شركة المطبوعات للنشر والتوزيع، (ط4)، 1997م، ص160.

(8) العهد الجديد، **إنجيل متى**: الإصحاح 27، فقرة 57-60. وينظر: العهد الجديد، **إنجيل مرقص**: الإصحاح 15، فقرة 42-46.

والعهد الجديد، **إنجيل لوقا:** الإصحاح 23، فقرة 50–54. والعهد الجديد، **إنجيل يوحنا:** الإصحاح 19، فقرة 38–40.

(9) شارل جنيبر، **المسيحية: نشأتها وتطورها**، ترجمة عبد الحليم محمود، بيروت، المكتبة العصرية، ص70.

(10) **المرجع السابق**، ص82.

(11) أحمد شلبي، **مقارنة الأديان – المسيحية**، القاهرة، مكتبة النهضة، 1984م، (ط8)، ص111.

(12) CHDASHOINE, E, OSTY،Les Epitres **de Saint Paul. Traduction nouvelle avec introduction cet notes** ،Paris, edition Siloe, p 2-4. J. M. GUILLEMON, **EPITRES DE SAINT PAUL**، Paris, Librairie éditeurs، 1873، tome 1, p 6-7.

(13) باروخ سبينوزا (ت 1080هـ/1677م)، **رسالة في اللاهوت والسياسة**، ترجمة حسن حنفي، بيروت، دار الطليعة، (ط2)، 1981م، ص185.

(14) شارل جنيبر، **المسيحية: نشأتها وتطورها**، ص84.

(15) **المرجع السابق**، ص100.

(16) ويل ديورانت، (ت 1401هـ/1981م)، **قصة الحضارة**، ترجمة محمد بدران، مصر، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، 1990م، ج3، ص269–270.

(17) Paul, **Routier du Christ**, Paris; Edition Castekman, 1946, p12-13.

(18) العهد الجديد، **أعمال الرسل**، الإصحاح 8، فقرة: 3.

(19) العهد الجديد، **أعمال الرسل**، الإصحاح 26، فقرة 9–11.

(20) العهد الجديد، **أعمال الرسل**، الإصحاح 26، فقرة 18.

(21) ينظر بالتفصيل: **رسالة بولس الرسول الثانية إلى أهل تسالوتيكي**، الإصحاح الثالث.

(22) ويل ديورانت، **قصة الحضارة**، ج3، ص216.

(23) أحمد شلبي، **مقارنة الأديان– المسيحية**، ص114.

(24) MICHEL, QUESNEL. **L'HISTOIRE DES EVENGILES** ،Paris, les editions du Cerf, 1987،p76.

(25) H. G. Wills, Abrégé de l'histoire du monde. p165-166.

(26) صلاح سالم، **المشترك التوحيدي والضمير الإنساني**، القاهرة، مكتبة الشروق الدولية، 2010م، (ط2)، ص161–163.

(27) لويس صليبيا، **المسيحية بين البوذية والإسلام**، بيروت، دار ومكتبة بيبليون، 2018م، (ط1)، ص10.

(28) صلاح سالم، **المشترك التوحيدي والضمير الإنساني**، ص163.

(29) ص159–160.

(30) يوسف الحسن، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 1990، ص19. نقلاً عن:

- Barbara Tuchman, **Bible and Sword**; England and Palestine from the bronze age to Belfour, New York, New-York university press, 1956, p58.

(31) إكرام لمعي، **الاختراق الصهيوني للمسيحية**، القاهرة، دار الشروق، 1993 (ط 2)، ص76.

(32) المرجع السابق، ص 34.

(33) يوسف الحسن، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، ص 20–21. ومحمد السماك، **الصهيونية المسيحية**، بيروت، دار النفائس،1993، ص17.

(34) شفيق مقار، **التوراة المسيحية**، لندن، رياض الريس للكتب والنشر، 1998م، (ط1)، ص72.

(35) أحمد شلبي، **مقارنة الأديان – المسيحية**، ص254.

(36) مهنا يوسف حداد، **الالتقاء بين الفكر البروتستانتي والفكر اليهودي: دراسة في علم الإنسان اليهودي**، مجلة الثقافة، الجزائر، عدد103، يوليو/أغسطس 1994، ص71–73.

(37) ينظر بالتفصيل عن حياة مارتن لوثر:

Chanione Marchand,**La faillite initiale de Protestantisme**, Paris, pierre Tequi librairie ; 1934, p 2-18.

(38) ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي**، ترجمة أحمد عبد الله عبد العزيز، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، عدد 96، ديسمبر 1985م، ص46.

(39) **المرجع السابق**، ص47.

(40) شفيق مقار، **التوراة المسيحية**، ص65.

(41) ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي**، ص68.

(42) يوسف الحسن، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، ص11.

(43) شفيق مقار، **التوراة المسيحية**، ص82–83.

(44) ريجينا الشريف، **الصهيونية غير اليهودية: جذورها في التاريخ الغربي**، ص31.

(45) الأب جوزيف كميل جبارة، **علاقة الكنيسة بالأديان غير المسيحية**، كتاب واقع الحوار الإسلامي المسيحي، جامعة القديس يوسف، بيروت، دار المشرق 1918، ص 38.

(46) Patrick O'connell, **Book Review on La foi et la théologie by Yves Congar** , paris, Studies, vol. 53, n° 211, automne 1964, p, 333-334.

(47) مشير باسيل عون، **الأسس اللاهوتية في بناء حوار المسيحية والإسلام**، بيروت، دار المشرق، 2003م، (ط1)، ص13–16.

(48) عادل تيودور خوري، **انطلاقة جديدة من أجل عيش مشترك في ظل المودة**، لبنان، المكتبة البولسية، 2011م، (ط1)، ص52.

(49) ألويزيوس بييريس، **لاهوت التحرير الآسيوي**، ترجمة وليم سيدهم اليسوعي، بيروت، دار المشرق، 2012م، (ط3)، ص28–29.

(50) Rabbin H. **Siegman, Dix années de relations judéo-chrétiennes. Les Églises devant le judaïsme, documents officiels 1948-1978**, éd. M-T Hoch et B. Dupuy, Paris, 1980, p. 383

(51) Jean-Marie Delmaire ,**Vatican II et les juifs. Rome, Publications de l'École Française de Rome**, n 113, Année 1989 ،p589.

(52) وثائق المجمع الفاتيكاني الثاني – **تصريح عن علاقات الكنيسة مع الديانات غير المسيحية**، ص471، 473. وينظر موقع: الأنبا تيكلاهيمانوت

https://st-takla.org/books/helmy-elkommos/unbelievers/council.html

(53) Jean-Marie Delmaire, Vatican II et les juifs. Paris, Publications de l'École Française p 601.

(54) Jean-Marie **Delmaire Une ouverture prudente, Paul VI**, le Judaïsme et Israël. Rome, Publications de l'École Française de Rome, n72, Année 1984 ,p 826.
Voir:https://www.persee.fr/doc/efr_0000-0000_1984_act_72_1_2443

(55) Le pape, **ami des Juifs, prié d'adoucir ses homélies sur les pharisiens**, paris, Le Point International France 2/05/2019.

(56) Gerald caron, **l'antisémitisme chrétien un defi pour l'eglise**, paris, mediaspaul, 2002, p89-90.

(57) Ibid.

(58) عز الدين عناية، **علاقة الكاثوليكية باليهودية في التاريخ المعاصر**، ديوان العرب 13 أكتوبر، 2019م.
الرابط: https://www.diwanalarab.com/

(59) يوسف الحسن، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، ص56.

(60) **المرجع السابق**، ص57.

(61) **المرجع السابق**، ص57.

(62) **المرجع السابق**، ص57.

(63) Gerald caron **L l'antisémitisme chrétien un defi pour l'eglise**, p-90.

(64) يوسف حسن، **البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني**، ص57.

(65) **المرجع السابق**، ص57.

(66) محمد السماك، **الصهيونية المسيحية**، بيروت، دار النفائس، 1981م، (ط3)، ص13-14.